

الأذكياء

ابن الجوزي


عيون التراث
الأذكياء
ابن الجوزي



PJ7696. H37 M83 2012
حارث بن حلزة، ت. حو. 573.
معلقة الحارث بن حلزة/ حررها ووضع حواشيها: محمد علي الحسني. ط. 1.
أبوظبي: هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة، دار الكتب الوطنية، 2012.
ص. ؛ سم. (سلسلة ديوان العرب. المعلقات)
1. المعلقات شرح. 2. الشعر العربي العصر الجاهلي. أ. حسني، محمد علي.
ب. العنوان ج. السلسلة.
ت د م ك 1-092-17-9948-978

أشرف على التحرير والإخراج:
الدكتور أنس أبو هلال
خطوط:
الفنان التشكيلي الخطاط محمد مندي

أشرف على التحرير والإخراج:
الدكتور أنس أبو هلال
خطوط:
الفنان التشكيلي الخطاط محمد مندي





الطبعة الأولى 1433هـ 2012م

أبوظبي - الإمارات العربية المتحدة
ص.ب: 2380
publication@adach.ae
www.adach.ae



الأذكياء

ابن الجوزي

المقدمة

هذه مقتطفات من كتاب الأذكياء، ألَّفه الحافظ أبو الفرج بن الجوزي (597)، المولود بمدينة بغداد في درب الحبيب، وقد اشتهر بإتقانه علوماً شتى؛ كالتفسير، والفقه، والتاريخ، والطب، غير أنَّ يده الطولى كانت في الوعظ والتذكير.

بدأ ابن الجوزي العِلم مبكراً؛ إذ كان عمره آنذاك ما يقرب من السابعة، وهو يحدثنا عن ذلك فيقول: «إني أذْكر نفسي ولي هِمَّة عالية، وأنا في المكتب، ولي نحو من ست سنين، وأنا قرين الصبيان، ثم رُزقت عقلاً في الصِّغَر يزيد على الأشياخ، فما أذكر أني لعبت في طريق مع صبي، ولا ضحكت ضحكاً خارجاً، حتى إني كنت ولي سبع سنين أو نحوها أحضر رحبة المسجد، وأطلب المحدِّث فيتحدث بالسمر الطويل، فأحفظ، فأرجع إلى البيت، فأكتبه».

ويقول ابن الجوزي عن نفسه: «وأحببت السَّهر، ولم أقنع بفن واحد من العلم، بل كنت أسمع الفقه، والوعظ، والحديث، وأتبع الزُّهّاد، ثم قرأت اللغة، ولم أترك أحداً ممن قد انزوى أو وعظ، ولا عربياً يَقْدَمُ، إلا وأحضُره، وأتخيَّر الفضائل».

يُعَدُّ ابن الجوزي من المؤلفين المُكْثرين، وله من المصنفات نحو الثلاثمئة، شملت الكثير من العلوم والفنون؛ ومن أشهرها:

- زاد المسير في علم التفسير.
- نواسخ القرآن.
- تلبيس إبليس.
- كتاب ذم الهوى.

> أخبار الحمقى والمغفلين.

> التذكرة في الوعظ.

> بستان الواعظين ورياض السامعين.

أما كتاب الأذكياء فقد جمع فيه ابن الجوزي نوادر الأذكياء وطرائف أخبارهم، وردَّ الذكاء إلى موهبة العقل، وكان هدفه من الكتاب أن يُعرِّف بأقدار من أخبر عنهم بذكر أحوالهم، وأن يَذْكر تلك الأخبار، فلعلَّ القارئ إن اطَّلع عليها أن يُحصِّل بعضاً من ذكائهم؛ فالذكاء لديه موهبة وتَعَلُّم.

ويُعرِّف ابن الجوزي الذكاء ـ ناقلاً عن غيره ـ فيقول: إنه «سرعة الفهم وحِدَّته»، وهو عكس البلادة، ويورد معناه اللغوي الدال على تمام الشيء وسرعته.

وقد بنى ابن الجوزي كتابه على ثلاثة وثلاثين باباً؛ منها: فضل العقل وماهيته ومحله، والذهن والفهم والذكاء، وعلامات الذكاء، والمنقول من فطنة الأنبياء، وصحابة النبي الكريم، والوزراء، والقضاة، وعلماء العربية... إلخ.

ولم ينسَ ابن الجوزي أن يَذْكر فطنة النساء، والصبيان، كما أنه أورد في آخر مؤلفه أخباراً عن ذكاء الحيوان. ولا تقتصر أخبار الأذكياء في الكتاب على النقل؛ فثمة أخبار وحكايات عايشها ابن الجوزي في زمانه، وَخَبرَها هو نفسه.

لقمان الحكيم

حُدِّثنا أن لقمان الحكيم كان عبداً نوبياً أسود، وكان قد أعطاه الله تعالى الحكمة، وكان لرجل من بني إسرائيل اشتراه بثلاثين مثقالاً ونصف. وكان يعمل له، وكان مولاه يلعب بالنرد يقامر عليه، وكان على بابه نهرٌ جار، فلعب يوماً بالنرد على أنَّ من قَمَر صاحبه شرب الماء الذي في النهر كلَّه أو افتدى منه، وإن هو قمر صاحبه فعل به مثل ذلك، قال: فقُمِرَ سيد لقمان، فقال له القامر: اشرب ما في النهر وإلا فافتدِ منه. قال: فسلني الفداء. قال: عينيك أفقؤهما، أو جميع ما تملك. قال: أمهلني يومي هذا. قال: لك ذلك.

قال: فأمسى كئيباً حزيناً؛ إذ جاءه لقمان وقد حمل حزمةً على ظهره، فسلَّم على سيده، ثم وضع ما معه ورجع إلى سيده، وكان سيده إذا رآه عبث به، ويسمع منه الكلمة الحكيمة فيعجب منه، فلما جلس إليه قال لسيده: ما لي أراك كئيباً حزيناً؟ فأعرض عنه، فقال له الثانية مثل ذلك، فَأَعْرَض عنه، ثم قال له الثالثة مثل ذلك، فأعرض عنه، فقال له: أخبرني فلعل لك عندي فَرَجاً. فقصَّ عليه القصة، فقال له لقمان: لا تغتم؛ فإن لك عندي فرجاً. قال: وما هو؟ قال: إذا أتاك الرجل، فقال لك: اشربْ ما في النهر، فقل له: أشربْ ما بين ضفتي النهر أو المد؟ فإنه سيقول لك: اشرب ما بين الضفتين، فإذا قال لك ذلك، فقل له: احبس عني المد حتى أشرب ما بين الضفتين؛ فإنه لا يستطيع أن يحبس عنك المد، وتكون قد خرجت مما ضمنت له.

فعرف سيده أنه قد صدق، فطابت نفسه، فلما أصبح جاءه الرجل، فقال له: فِ لي بشرطي، قال له: نعم، أشرب ما بين الضفتين أو المد؟ قال: لا، ما بين الضفتين. قال: فاحبس عني المد. قال: كيف أستطيع؟ قال: فَخَصَمه، قال: فأعتقه مولاه.

ذكاءُ عُمَرَ

ومن المنقول عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: حدثنا أسلم، عن أبيه قال: قَدِمَتْ على عمر بن الخطاب حُلَلٌ من اليمن، فقسمها بين الناس، فرأى فيها حلةً رديئةً، فقال: كيف أصنع بهذه؟ إذا

أعطيتها أحداً لم يقبلها إذا رأى هذا العيب فيها. قال: فأخذها فطواها فجعلها تحت مجلسه، وأخرج طرفها ووضع الحلل بين يديه، فجعل يقسم بين الناس.

قال : فدخل الزبير بن العوام- وهو على تلك الحال- فجعل ينظر إلى تلك الحلة، فقال له: ما هذه الحلة؟ قال عمر: دع هذه عنك. قال: ما هيه؟ ما هيه؟ ما شأنها؟ قال: دعها عنك. قال: فأعطِنيها. قال: إنك لا ترضاها. قال: بلى قد رضيتها. فلما تَوثَّق منه، واشترط عليه أن يقبلها ولا يردها، رمى بها إليه، فلما أخذها الزبير ونظر إليها إذا هي رديئةٌ، فقال: لا أريدها. فقال عمر: هيهات! قد فرغت منها. فأجازها عليه، وأبى أن يقبلها منه.

ذكاءُ ناصحٍ

وذُكِر أن ملكاً كانت أسراره تظهر كثيراً إلى عدوه؛ فَيَبْطُل تدبيره على العدو، فبلغ ذلك منه، فشكا إلى أحد نصحائه، وقال له: إن جماعة يطَّلعون على أسرار لي لا بد من إظهارها لهم، ولست أدري أيهم يظهرها، وأكره أن أنال البريء منهم بما يستحق الخائن، فدعا بكتاب، فكتب فيه أخباراً من أخبار المملكة، وجعلها كذباً كلَّها، ثم دعا برجلٍ رجلٍ، كل واحدٍ دون صاحبه ممن كان يفشي الملك إليه سره، فقال للملك: أخبر كل واحدٍ منهم بخبر على حدة لا يطَّلع عليه سائر أصحابه، وَأمرْ كل واحدٍ بستر ما أسررت إليه، واكتب على كل خبر اسم صاحبه، فلم يلبث أن أظهر الخونةُ ما أفشِي إليهم، وانكتمت أخبار الناصحين، فعرف الملك من أفشى سره فحَذِرَه.

العطار والحاجي

قَدِم رجلٌ إلي بغداد للحج، وكان معه عِقد من الجوهر يساوي ألف دينار، فاجتهد في بيعه، فلم يَنْفُقْ، فجاء إلى عطارٍ موصوفٍ بالخير، فأودعه إياه، ثم حج وعاد، فأتاه بهديةٍ، فقال له العطار: من أنت؟ وما هذا؟ فقال: أنا صاحب العِقد الذي أودعتك. فما كلَّمه حتى رفسه رفسةً رماه عن دكانه، وقال: تدَّعي عليَّ مثل هذه الدعوى؟! فاجتمع الناس وقالوا للحاجي: ويلك! هذا رجل خير، ما لحقت من تدعي عليه إلا هذا؟! فتحير الحاجي وتردد إليه، فما زاده إلا شتماً وضرباً، فقيل له: لو ذهبت إلى عضد الدولة؛ فله في هذه الأشياء فراسة. فكتب قصَّته وجعلها على قصبةٍ ورفعها لعضد الدولة، فصاح به فجاء، فسأله عن حاله، فأخبره بالقصة، فقال: اذهب إلى العطار غداً، واقعد على دكانه، فإن منعك فاقعد على دكان تقابله من الصبح إلى المغرب، ولا تكلمه، وافعل هكذا ثلاثة أيام، فإنني أمرّ عليك في اليوم الرابع وأقف وأسلم عليك، فلا تقم لي ولا تزدني على رد السلام وجواب ما أسألك عنه، فإذا انصرفتُ فأعد عليه ذكر العقد، ثم أعلمني ما يقول لك، فإن أعطاك فجئ به إليَّ.

قال: فجاء إلى دكان العطار ليجلس فمنعه، فجلس بمقابلته ثلاثة أيام، فلما كان اليوم الرابع اجتاز عضد الدولة في موكبه العظيم، فلما رأى الخراساني وقف وقال: سلام عليكم. فقال: الخراساني ولم يتحرك: وعليكم السلام. فقال: يا أخي، تَقْدَم فلا تأتي إلينا، ولا تعرض حوائجك علينا؟! فقال كما اتفق ولم يشبعه الكلام، وعضد الدولة يسأله ويستخفي، وقد وقف ووقف العسكر كله، والعطار قد أغمي عليه من الخوف، فلما انصرف التفت العطار إلى الحاجي فقال: ويحك! متى أودعتني هذا العقد؟ وفي أي شيء كان ملفوفاً؟ فذكِّرني لعلي أذكره. فقال: من صفته كذا وكذا. فقام وفتَّش، ثم نقض جرةً عنده فوضع العقد1، فقال: قد كنت نسيت، ولو لم تذكرني الحالَ ما ذكرت. فأخذ العقد، ثم قال: وأي فائدة لي في أن أعلم عضد الدولة؟ ثم قال في نفسه: لعله يريد أن يشتريه، فذهب إليه فأعلمه، فبعث به مع الحاجب إلى دكان العطار، فعلَّق العقد في عنق العطار وصلبه بباب الدكان، ونودي عليه: هذا جزاء من استُودع فجحد، فلما ذهب النهار أخذ الحاجب العقد فسلمه إلى الحاجي، وقال: اذهب.

الأرض سَرَقتْ مالي

قَدِم بعض التجار من خراسان ليحج، فتأهب للحج وبقي معه من ماله ألف دينار لا يحتاج إليها، فقال: إن حملْتُها خاطرت بها، وإن أودعتها خِفْت جحد المودَع. فمضى إلى الصحراء، فرأى شجرة خروع، فحفر تحتها ودفنها، ولم يره أحد، ثم خرج إلى الحج وعاد، فحفر المكان فلم يجد شيئاً، فجعل يبكي ويلطم وجهه، فإذا سئل عن حاله قال: الأرض سرقت مالي! فلما كثر ذلك منه قيل له: لو قصدت عضد الدولة؛ فإن له فطنة. فقال: أوَ يعلم الغيب؟ فقيل له: لا بأس بقصده. فأخبره بقصته، فجمع الأطباء وقال لهم: هل داويتم في هذه السنة أحداً بعروق الخروع؟ فقال أحدهم: أنا داويت فلاناً؛ وهو من خواصك. فقال: عليّ به. فجاء، فقال له: هل تداويت في هذه السنة بعروق الخروع؟ قال: نعم. قال: من جاءك به؟ قال: فلان الفرّاش. قال: عليَّ بِه. فلما جاء قال: من أين أخذت عروق الخروع؟ فقال: من المكان الفلاني. فقال: اذهب بهذا معك فَأَرِه المكان الذي أخذت منه. فذهب معه بصاحب المال إلى تلك الشجرة، وقال: من هذه الشجرة أخذتَ. فقال الرجل: ها هنا والله تركت مالي. فرجع إلى عضد الدولة فأخبره، فقال للفرّاش: هَلُمَّ بالمال. فتلكأ، فتوعَّدَه، فأحضر المال.

القطائف الحلال

وذُكِرَ أن رجلاً من جيران ابن النسوي كان يصلي بالناس، دخل على ابن النسوي في شفاعة، وبين يديه صحن فيه قطائف، فقال له ابن النسوي: كُلْ، فامتنع، فقال: كأنني بك وأنت تقول: من أين لابن النسوي شيء حلال؟ ولكن كُلْ؛ فما أَكَلتُ قطُّ أحلَّ من هذا. فقال بحكم المداعبة: من أين لك شيء لا يكون فيه شبهة؟ فقال: إن أخبرتك تأكل؟ قال: نعم.

فقال: كنت منذ ليالٍ في مثل هذا الوقت، فإذا الباب يدق، فقالت الجارية: من؟ فقالت: امرأة تستأذن. فأُذِن لها، فدخلت، فأكبَّت على قدمي تقبلها، فقلت: ما حاجتك؟ قالت: لي زوجٌ، ولي منه ابنتان؛ لواحدة اثنتا عشرة سنة، وللأخرى أربع عشرة سنة، وقد تزوج عليَّ وما يقربني، والأولاد يطلبونه، فيضيق صدري لأجلهم، وأريد أن يجعل ليلة لي، ولتلك ليلة. فقلت لها: ما صناعته؟ فقالت: خباز. قلت: وأين دكانه؟ قالت: بالكرخ، ويُعرف بفلان بن فلان. فقلت: وأنت بنت من؟ فقالت: بنت فلان. قلت: فما اسم بناتك؟ قالت: فلانة وفلانة... قلت: أنا أرده إليك إن شاء الله تعالى. فقالت: هذه شقة قد غزلتها أنا وابنتاي، وأنت في حل منها. قلت: خذي شقتك وانصرفي.

فمضت، فَبَعَثْتُ إليه اثنين، وقلت: أحضراه، ولا تزعجاه. فأحضراه، وقد طار عقله، فقلت: لا بأس عليك إنما استدعيتك لأعطيك كُرَّ طعام[1] وعمالته؛ تقيمه خبزاً للرحالة. فسكن روعه، وقال: ما أريد له عمالة. قلت: بلى، صديقٌ مُخسِّرٌ عدوٌّ مبينٌ، أنت مني وإليَّ.. كيف هي زوجتك فلانة؟ تلك بنت عمي، وكيف بناتها فلانة وفلانة؟ فقال: بكل خير. قلت : الله الله، لا أحتاج أن أوصيك بها، لا تُضيِّق صدرها. فقبَّل يدي، فقلت: امضِ إلى دكانك، وإن كان لك حاجة فالموضع بحكمك فانصرف. فلما كان في هذه الليلة جاءت المرأة، فدخلت، وهذا الصحن معها، وأقسمت عليَّ بالله ألا أردها، وقالت: قد جَمَعْت شملي وشمل أولادي، وهذا والله ثمن غزلي، فبالله لا ترده. فقبلْتُه، فهل هذا حلالٌ؟ فقال: والله ما في الدنيا أحلُّ من هذا. قال: فكلْ، فأكل.

الخيط المُسوَّد

سُرق من رجلٍ خمسمئة دينار، فحمل المتهومين إلى الوالي، فقال الوالي: أنا ما أضرب أحداً منكم، بل عندي خيطٌ ممدودٌ في بيتٍ مظلم، فادخلوا، فليُمِرَّ كلٌّ منكم يده عليه من أول الخيط إلى آخره، ويلفَّ يده في كمه، ويخرج؛ فإن الخَيط يلفُّ على يد الذي سرق. وكان قد سوَّد الخيط بسُخام، فدخلوا، فكلهم جَرَّ يده على الخيط في الظلمة إلا واحداً منهم، فلما خرجوا نظر إلى أيديهم مسودَّة إلا واحداً، فألزمه بالمال، فأقرَّ به.

أحْيَل من رأيت

خرج عمرو بن معد يكرب يوماً حتى انتهى إلى حيٍّ، فإذا بفرسٍ مشدودٍ، ورمحٍ مركوزٍ، وإذا صاحبه في وهدة يقضي حاجته، فقلت له: خذ حذرك، فإني قاتلك. قال: ومن أنت؟ قلت: عمرو بن معد يكرب. قال: يا أبا ثور ما أنصفتني؛ أنت على ظهر فرسك وأنا في بئر، فأعطني عهداً أنك لا تقتلني حتى أركب فرسي، وآخذ حذري. فأعطيته عهداً ألَّا أقتله حتى يركب فرسه، ويأخذ حذره، فخرج من الموضع الذي كان فيه حتى احتبى بسيفه، وجلس، فقلت له: ما هذا؟ قال: ما أنا براكب فرسي ولا مقاتلك، فإن كنت نكثت عهداً، فأنت أعلم! فتركته ومضيت، فهذا أحيل من رأيت.

أقفال وأسماء

وقف أعرابيٌّ على قوم فسألهم عن أسمائهم، فقال أحدهم: اسمي وثيقٌ، وقال الآخر: منيعٌ، وقال الآخر: اسمي ثابتٌ، وقال الآخر: اسمي شديدٌ. فقال الأعرابي: ما أظن الأقفال عُملت إلا من أسمائكم.

عمل بالمجان

حدَّث إبراهيم بن عبد الله قال: كنت في بيت عمتي ولها بنون، فسألت عنهم، فقالوا: قد مضوا إلى عبد الله بن داود، فأبطؤوا، ثم جاؤوا يذمونه، وقالوا : طلبناه في منزله فلم نجده، وقالوا: هو في بُستينةٍ له، فقصدناه، وسلّمنا عليه، وسألناه أن يحدثنا، فقال: مُتِّعتُ بكم، أنا في شغلٍ عن هذا؛ هذه البستينة لي فيها معاشٌ، وتحتاج أن تُسْقى، وليس لنا من يسقيها. فقلنا: نحن ندير الدولاب ونسقيها.

فقال: إن حَضَرَتْكم نيّة فافعلوا. فأدرنا الدولاب حتى سقينا البستان، ثم قلنا له: حدثنا الآن. فقال: مُتِّعتُ بكم، ليس لي نيّة في أن أحدثكم، وأنتم كانت لكم نيّةٌ تؤجرون عليها.

مُزوِّر

وحدَّث أبو الحسن بن عباس القاضي؛ قال: رأيت صديقاً على بعض زوارق الجسر ببغداد جالساً في يوم شديد الريح، وهو يكتب رُقعةً، فقلت: ويحك! في هذا الموضع وهذا الوقت؟ قال: أريد أن أزوِّر على رجل مرتعشٍ، ويدي لا تساعدني، فتعمدت الجلوس ها هنا؛ لتحرك الزورق بالموج في هذه الريح، فيجيء خَطِّي مرتعشاً، فيشبه خطه.

محتال ومحتالة

حدَّث أبو الطيب بن عبد المؤمن؛ قال: خرج بعض حُذَّاق المُكدِّين[2] من بغداد إلى حمص ومعه امرأته، فلما وصلها قال: إن هذا بلدُ حماقةٍ، وأريد أن أعمل حيلةً فتساعديني. فقالت: شأنك. قال: كوني بموضعك ولا تجتازي بي البتة، فإذا كان كلُّ يوم، فخذي لي ثلثي رطلٍ زبيباً، وثلثي رطل لوزاً آنياً، فاعجنيه واجعليه وقت الهاجرة على آجُرَّةٍ جدِّيدةٍ نظيفةٍ؛ لأعرفها في الميضأة الفلانية ـ وكانت قريبة من الجامع ـ ولا تزيديني على هذا شيئاً، ولا تمرّي بناحيتي. فقالت: أفعل.

وجاء هو، فأخرج جبةَ صوفٍ كانت معه، فلبسها، وسراويلَ صوفٍ ومئزراً، وجعلها على رأسه، ولزم أسطوانة يمر الناس عليها، فصلى نهاره أجمع وليلته أجمع، لا يستريح إلّا في الأوقات المحظور فيها الصلاة، فإذا جلس فيها سَبَّحَ ولم ينطق بلفظة، فتُنُبِّه على مكانه، ورُوعيَ مدَّة، ووُضعت العيون عليه؛ فإذا هو لا يقطع الصلاة ولا يذوق الطعام، فتحير أهل البلد في أمره، وكان لا يخرج من الجامع إلا في وقت الهاجرة في كل يوم دفعةً إلى تلك الميضأة فيبول فيها، ويعود إلى الآجرّة، وقد عرفها وعليها ذاك المعجون، وقد صار منحلاً، وصورته صورة الغائط، فمن يدخل ويخرج لا يشكّ أنه غائطٌ، فيأكله فيقيم أوده ويرجع، فإذا كان وقت صلاة العتمة أو في الليل شرب من الماء قدر كفايته، وأهل حمص يظنون أنه لا يطعم الطعام ولا يذوق الماء، فَعَظُم شأنه عندهم، فقصدوه وكلّموه، فلم يجبهم، وأحاطوا به، فلم يلتفت، واجتهدوا في خطابه، فلزم الصمت، فزاد محلةً عندهم؛ حتى إنهم كانوا يتمسحون بمكانه، ويأخذون التراب من موضعه، ويحملون إليه المرضى والصبيان، فيمسح بيده عليهم.

فلما رأى منزلته وقد بلغت إلى ذلك، وكان قد مضى على هذا السمتِ سنةٌ، اجتمع مع امرأته في الميضأة، وقال: إذا كان يوم الجمعة حين يصلي الناس، فتعالي فاعلقي بي والطمي وجهي، وقولي: يا عدو الله، يا فاسق، قتلت ابني ببغداد، وهربت إلى ها هنا تتعبد؟ وعبادتك مضروب بها وجهُك. ولا تفارقيني، وأظهري أنك تريدين قتلي بابنك، فإن الناس سيجتمعون إليك، وأمنعهم أنا من أذيتك، وأعترف بأني قتلته وتبت، وجئت إلى ها هنا للعبادة والتوبة والندم على ما كان مني، فاطلبي قَوَدي[3] بإقراري، وحَمْلي إلى السلطان، فيعرضون عليك الدية، فلا تقبليها حتى يبذلوا لك عشر ديات، أو ما استوى لك بحسب ما ترين من زيادتهم وحرصهم، فإذا تناهت أعطيتهم في افتدائي إلى حد يقع لك أنهم لا يزيدون بعده شيئاً، فاقبلي الفداء منهم، واجمعي المال وخذيه، واخرجي من يومك إلى بغداد، ولا تقيمي بالبلد؛ فإني سأهرب وأتبعك.

فلما كان من الغد، جاءت المرأة، فتعلقت به، وفعلت به ما قال، فقام أهل البلد ليقتلوها، وقالوا: يا عدوة الله، هذا من الأبدال[4]، هذا قوَّام العالَم، هذا قطب الوقت. فأومأ إليهم أن اصبروا ولا تناولوها بشرٍّ، فصبروا، وأوجز في صلاته ثم سَلَّم، وتمرغ في الأرض طويلاً، ثم قال: أيها الناس! هل سمعتم لي كلمة منذ أقمت عندكم؟ فاستبشروا بسماع كلامه، وارتفعت ضجةٌ عظيمةٌ، وقالوا: لا.

قال: إني إنما أقمت عندكم تائباً مما ذكرتْه، وقد كنت رجلاً في دفع وخسارة، فقتلت ابن هذه المرأة، وتُبْت، وجئت إلى ها هنا للعبادة، وكنت محدِّثاً نفسي بالرجوع لها لتقتلني؛ خوفاً من أن تكون توبتي ما صَحَّت، وما زلت أدعو الله أن يقبل توبتي ويمكِّنها مني، إلى أن أجيبت دعوتي باجتماعي بها وتمكينها من قَوَدي، فدعوها تقتلني، وأستودعكم الله.

قال: فارتفعت الضجة والبكاء، وهو مارٌّ إلى والي البلد ليقتله بابنها، فقال الشيوخ: يا قوم، لقد ضللتم عن مداواة هذه المحنة، وحراسة بلدكم بهذا العبد الصالح، فارفقوا بالمرأة، واسألوها قبول الدية نجمعها من أموالنا. فطافوا بها وسألوها، فقالت: لا أفعل. فقالوا: خذي ديتين، فقالت: شعرةٌ من ابني بألف دية. فما زالوا حتى بلغوا عشر ديات، فقالت: اجمعوا المال، فإذا رأيته. وطاب قلبي بقبوله فعلت، وإلا قتلت القاتل. فجمعوا مئة ألف درهم، وقالوا: خذيها، فقالت: لا أريد إلا قتل قاتل ابني. فأقبل الناس يرمون ثيابهم وأرديتهم وخواتيمهم، والنساء حُليهنّ، فأخذت. ذلك، وأبرأتْه من الدم، وانصرفت وأقام الرجل بعد ذلك في الجامع أياماً يسيرةً، حتى علم أنّها قد بَعدت، ثم هرب في بعض الليالي، وطُلِبَ فلم يوجد ولا عرف له خبر، حتى انكشف لهم أنه كان حيلة بعد مدةٍ طويلةٍ.

أبو دلامة والمهدي

وَبَلَغَنا عن أبي دلامة أنه دخل على المهدي، فأنشده قصيدةً، فقال له: سَلْني حاجتك. فقال: يا أمير المؤمنين، تَهَب لي كلباً. فغضب، وقال: أقول لك: سلني حاجتك، فتقول: تهب لي كلباً؟! فقال: يا أمير المؤمنين، الحاجة لي أم لك؟ قال: لا بل لك. قال: فإني أسألك أن تهب لي كلبَ صيدٍ، فأمر له بكلبٍ، فقال: يا أمير المؤمنين، هبني خرجت إلى الصيد، أعدو على رجليّ؟ فأمر له بدابّةٍ، فقال: يا أمير المؤمنين، فمن يقوم عليها؟ فأمر له بغلام، فقال: يا أمير المؤمنين، فهبني قصدت صيداً وأتيت به المنزل، فمن يطبخه؟ فأمر له بجاريةٍ، فقال: يا أمير المؤمنين، هؤلاء أين يبيتون؟ فأمر له بدارٍ، فقال: يا أمير المؤمنين، قد صيَّرت في عنقي كفافاً، أي: جمعاً من عيال، فمن أين ما يتقوَّت به هؤلاء؟ قال: فإن أمير المؤمنين قد أقطعك ألف جريبٍ[5] عامراً، وألف جريب غامرًا.

فقال: أما العامر فقد عرفته، فما الغامر؟ قال: الخراب الذي لا شيء فيه. قال: فأنا أقّطع أمير المؤمنين مئة ألف جريب بالدوِّ[6]، ولكنني أسأل أمير المؤمنين من ألفي جريب جريباً واحداً عامراً. قال: من أين؟ قال: من بيت المال. فقال المهدي: حوِّلوا المال وأعطوه جريباً، فقال: يا أمير المؤمنين، إذا حوّلوا منه المال صار غامراً. فضحك منه وأرضاه.

قميص رسول الله

قال ابن أبي الزناد: كان عند أسماء بنت أبي بكر قميصُ رسول الله، فلما قُتل عبد الله بن الزبير ذهب القميص فيما ذهب وفيما انتُهب، فقالت أسماء: لَلْقَميصُ أشدُّ عليَّ من قتل عبد الله. فوُجِد القميص عند رجل من أهل الشام، فقال: لا أردُّه، أو تستغفر لي أسماء. فقيل لها، قالت: كيف أستغفر لقاتل عبد الله؟ قالوا: أفليس يرد القميص؟! قالت: قولوا له فليَجِئ. فجاء بالقميص ومعه عبد الله بن عروة، فقالت: ادفع القميص إلى عبد الله، فدفعه، فقالت: قبَضْتَ القميص يا عبد الله؟ قال: نعم. قالت: غفر الله لك يا عبد الله! وإنما عَنَت عبد الله بن عروة.

لا شرقية ولا غربية

قال عيسى بن محمد الطوماري: سمعت أبا عمر محمد بن يوسف القاضي يقول: اعتلَّ أبي علة شهوراً، فانتبه ذات ليلة، فدعا بي وبأخوتي، وقال لنا: رأيت في النوم كأن قائلاً يقول: كُلْ لا، واشربْ لا؛ فإنك تبرأ. فلم نَدْرِ تفسيرَه، وكان بباب الشام رجل يعرف بأبي علي الخياط، حسنُ المعرفة بعبارة الرؤية، فجئنا به، فقص عليه المنام، فقال: ما أعرف تفسيره، ولكني أقرأ كل ليلة نصف القرآن، فأخلوني الليلة حتى أقرأ رسمي وأتفكر. فلما كان من الغد جاءَنا، فقال: مررت علي هذه الآية: {لا شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ}- النور: 35 -، فنظرت إلى (لا) وهي تَرَدَّدُ فيها، اسقوه زيتاً وأطعموه زيتاً. ففعلنا، وكانت سبب عافيته.

المُشعوذ

ذكر هلال بن المحسن أن رجلاً كان يقال له: أبو العجب، لم يُرَ مثله فيما كان يعمل من الشعبذة، دخل يوماً على دار المقتدر بالله، فرأى خادماً من خواصه يبكي على بلبل مات له، فقال له: ما عليك أيها الأستاذ إن أحيَيْتُه؟ فقال: ما تريد؛ فأخذ البلبل الميت، فأدخله كمَّه وأدخل رأسه، وأخرج بعد ساعة بلبلاً حيًّا، فماجت الدار، وعجب الحاضرون، فاستدعاه علي بن عيسى وقال: والله إن لم تَصْدُقْني عن حقيقة الأمر لأضربن عنقك. فقال: إني شاهدت الخادم يبكي على بلبله، فطمعت بما آخذه منه، فمضيت بالحال إلى السوق، وابتعت بُلبلاً وخبأته في كمي، وعدت إلى الخادم، فقلت ما

قلته، وأخذت البلبل الميت، وأدخلت رأسه في كمي وأكلته، وأخرجت الحي، فلم يشك أنه بلبله، وهذا رأس الميت.

تحتاج القِدر إلى لحم

وقفٍ قوم على مزيد وهو يطبخ قِدْراً، فأخذ أحدهم قطعة لحم فأكلها، وقال: يا مزيد، تحتاج القدر إلى الخلِّ. وأخذ آخرُ قطعة لحم فأكلها، وقال: تحتاج القدر إلى أبزار. وأخذ آخرُ قطعة لحم وقال: تحتاج القدر إلى ملح. فأخذ الطبَّاخ قطعة لحم وقال: تحتاج القدر إلى لحم. فتضاحكوا منه وانصرفوا.

أبو الغيث

قال رجل لأعرابي: ما اسمك؟ فقال: فرات بن البحر بن الفياض. قال: فما كنيتك؟ قال: أبو الغيث. قال: بأبي أنت! ينبغي أن نلقي فيك زورقاً وإلا غرقنا.

يُؤتِي أُكُلَه كلَّ يوم

قال سعيد بن مسلم لبعض جلسائه في بستانه: ما أحسن هذا البستان! قال: أنت أحسن منه؛ لأنه يؤتي أُكُلَه كل عام مرة، وأنت تؤتي أُكُلَك كل يوم.

الإحسان إلى العصافير

رمى رجل عصفوراً فأخطأه، فقال له رجل: أحسنت! فغضب وقال: أتهزأ بي؟ قال: لا، ولكن أحسنت إلى العصفور.

مِنْ هذا أضحك

قال شيخ: حُكِي لنا أن بعض الناس ضاف رجلاً، فانتبه صاحب الدار بالليل، فسمع ضحك الرجل من الغرفة، فصاح به: فلان. قال: لبيك. قال: أنت كنت في الدار، فما الذي رَقّاك إلى الغرفة؟ قال: تدحرجت! قال: الناس يتدحرجون من فوق إلى أسفل، فكيف تدحرجت أنت؟ قال: فمن هذا أضحك.

أحجُّ على يديك

قال رجلٌ لرجلٍ: إن لطمتك لطمةً لأبلغنَّ بك المدينة. فقال له: فأحب أن تُرْدفها بأخرى؛ لعل الله تعالى أن يرزقني الحج على يديك.

وأنا وُلدت قبله

روينا عن العباس بن عبد المطلب أنه سئل: أيما أكبر: أنت أو رسول الله ؟ قال: رسول الله أكبر، وأنا وُلدت قبله.

يكفينا الله

قال عبد الواحد بن نصر المخزومي: أخبرني من أثق به أنه خرج في طريق الشام مسافراً وعليه مُرَقَّعة، وهو في جماعة نحو الثلاثين رجلاً كلهم على هذه الصفة، فصَحِبَنا في بعض الطريق رجلٌ شيخٌ حسن الهيئة، ومعه حمار فارهٌ يركبه، ومعه بغلان عليهما رجل وقماش ومتاع فاخر، فقلنا له: يا هذا، إنك لا تفكر في خروج الأعراب علينا، فإنه لا شيء معنا يؤخذ، وأنت لا تصلح لك صُحْبتنا مع ما معك. فقال: يكفينا الله. ثم سار ولم يَقْبَل منا، وكان إذا نزل يأكل استدعى أكثَرَنا فأطعمه وسقاه، وإذا عيي الواحد منا أركبه على أحد بغليه، وكانت جماعة تخدمه وتكرمه وتتدبر برأيه، إلى أن بلغنا موضعاً، فخرج علينا نحوُ ثلاثين فارساً من الأعراب، فتفرقنا عليهم، ومانعناهم، فقال الشيخ: لا تفعلوا، فتركناهم، ونزل فجلس وبين يديهِ سفرته، ففرشها وجلس يأكل، وأظلتنا الخيل، فلما رأوا الطعام دعاهم إليه، فجلسوا يأكلون، ثم حلَّ رحله وأخرج منه حلوى كثيرة وتركها بين يدي الأعراب، فلما أكلوا وشبعوا جَمَدت أيديهم، وخدرت أرجلهم ولم يتحركوا، فقال لنا: إن الحلو مُبَنِّج، أعددته لمثل هذا، وقد تمكن منهم وتمت الحيلة، ولكن لا يفك البنج إلا أن تصفعوهم، فافعلوا؛ فإنهم لا يقدرون لكم على ضرر، ونسير. ففعلوا، فما قدروا على الامتناع، فعلمنا صدق قوله، وأخذنا أسلحتهم وركبنا دوابَّهم، وسرنا حواليه في موكب، ورماحهم على أكتافنا، وسلاحهم علينا، فما نجتاز بقوم إلا يظنوننا من أهل البادية، فيطلبون النجاة منا، حتى بلغنا مأمننا.

دنانير وذهب

حدثنا أبو محمد عبد الله بن علي المقري؛ قال: دفن رجلٌ مالاً في مكان، وترك عليه طابقاً وتراباً كثيراً، ثم ترك فوق ذلك خرقة فيها عشرون ديناراً، وترك عليها تراباً كثيراً ومضى، فلما احتاج إلى الذهب كشف عن العشرين، فلم يجدها، فكشف عن الباقي فوجده، فحمد الله على سلامة ماله، وإنما فعل ذلك خوفاً أن يكون قد رآه أحد، وكذلك كان؛ فإنه لما جاءه الذي رآه وجد العشرين، فأخذها ولم يعتقد أن ثمَّ شيئاً آخر.

أعمى العين وأعمى القلب

وقال بعضهم: خرجت في الليل لحاجة، فإذا أعمى على عاتقه جرَّة، وفي يده سراج، فلم يزل يمشي حتى أتى النهر، وملأ جرته وانصرف راجعاً، فقلت: يا هذا، أنت أعمى، والليل والنهار عندك سواء. فقال: يا فضولي، حملتها معي لأعمى القلب مثلك يستضيء بها؛ فلا يعثر بي في الظلمة، فيقع عليَّ فيكسر جرتي.

إنعاش

حدَّث أبو الحسن بن الحسن بن محمد الصالحي الكاتب؛ قال: رأيت بمصر طبيباً كان مشهوراً يُعرف بالقطيعي، وقال: إنه يكسب في كل شهر ألف دينار من جرايات[7] يجريها عليه قوم من رؤساء العسكر، ومن السلطان، ومما يأخذه من العامة. قال: وكان له دار قد جعلها شبه المرستان من جملة داره، يأوي إليها الضعفاء والمرضى، فيداويهم ويقوم بأغذيتهم وأدويتهم وخدمتهم، وينفق أكثر كسبه في ذلك، فاتفق أن بعض فتيان الرؤساء بمصر أُسْكِت[8]، قال: فجُعل إليه أهل الطب ـ وفيهم القطيعي ـ فأجمعوا على موته إلا القطيعي، وعمل أهله على غسله ودفنه، فقال القطيعي: أعالجه، وليس يلحقه أكثر من الموت الذي قد أجمع هؤلاء عليه، فخلّاه أهله معه، فقال: هات غلاماً جَلْداً ومقارع[9]. فأُتي بذلك، فأمر به فَمُدَّ، وضربه عشر مقارع أشد الضرب، ثم مسَّ جسده، ثم ضربه عشراً أُخَر، ثم جس مجسه، ثم ضربه عشراً أخر، ثم جس مجسه، وقال: أيكون للميت نبض؟ قالوا: لا. قال: فجُسُّوا نبض هذا فجسوه، فقالوا: قد زاد نبضه! فضربه عشراً أخر فتقلّب، فضربه عشراً فتأوه، فضربه عشراً فصاح، فقطع عنه الضرب، فجلس العليل يتأوه، فقال له: ما تجد؟ قال: أنا جائع. فقال: أطعموه. فجاؤوا بما أكله، فرجَعَتْ قوته، وقمنا وقد برأ.

فقال له الأطباء: من أين لك هذا؟ قال: كنت مسافراً في قافلة فيها أعراب يخفرونا، فسقط منهم فارس عن فرسه؛ فأُسْكِت، فقالوا: قد مات. قال: فعمد شيخ منهم فضربه ضرباً شديداً عظيماً، وما رفع الضرب عنه حتى أفاق، فعلمت أن الضرب جلب إليه حرارة أزالت سكتته، فقِسْت عليه أمر هذا العليل.

الجائع الكسلان

صحب طُفَيْليٌّ رجلاً في سفر، فقال له الرجل: امضِ فاشترِ لنا لحماً. قال: لا والله ما أقدر. فمضى هو واشترى، ثم قال له: قم فاطبخ. قال: لا أُحْسِن. فطبخ الرَجل، ثم قال له: قم فاثرد[10]. قال: أنا والله كسلان. فثرد الرجل، ثم قال له: قم واغرف. قال: أخشى أن ينقلب على ثيابي. فغرف الرجل، ثم قال له: الآن فكُلْ. قال الطفيلي: قد والله استحييت من كثرة خلافي لك! وتقدم فأكل.

المال المسروق

حدث ابن الدنانير النمار، عن غلام له قال: كنت ناقداً بالأُبلَّة[11] لرجل تاجر، فاقتضيت له من البصرة نحو خمسمئة دينار ورقاً، ولففتهما في فوطة، وأمسيت عن المسير إلى الأبلة، فما زلت أطلب ملَّاحا فلا أجد، حتى رأيت ملاحاً مجتازاً في خيطية[12] خفيفة فارغة، فسألته أن يحملني، فخفَّفَ عليَّ الأجرة وقال: أنا أرجع إلى منزلي بالأبلة، فانزل. فنزلت، وجعلت الفوطة بين يدي، وسرنا، فإذا رجل ضرير على الشط يقرأ أحسن قراءة تكون، فلما رآه الملاح كَبَّر، فصاح هو بالملاح: احملني؛ فقد جنَّني الليل، وأخاف على نفسي. فشتمه الملاح، فقلت له: احمله. فدخل إلى الشط فحمله، فرجع إلى قراءته، فخلب عقلي بطيبها، فلما قربنا من الأبلة قطع القراءة، وقام ليخرجِ في بعض المشارع بالأبلة، فلم أرَ الفوطة، فاضْطَرَبتُ، وصحت، واستغاث الملاح، وقال: الساعةَ تنقلب الخيطية. وخاطبني خطاب من لا يعلم حالي، فقلت: يا هذا، كانت بين يدي فوطة فيها خمسمئة دينار. فلما سمع الملاح ذلك لطم وبكى وتعرى من ثيابه، وقال: لم أدخل الشط، ولا لي موضع أخبِّئ

فيه شيئاً فتتهمني بسرقة، ولي أطفال وأنا ضعيف، فالله الله في أمري. وفعل الضرير مثل ذلك، وفتشت السميرية فلم أجد فيها شيئاً، فرحمتهما وقلت: هذه محنة لا أدري كيف أتخلص منها.

وخرجنا، فعملت على الهرب، وأخذ كل واحد منا طريقاً، وبت في بيت ولم أمضِ إلى صاحبي، فلما أصبحت عملت على الرجوع إلى البصرة لأستخفي بها أياماً، ثم أخرج إلى بلد شاسع، فانحدرْت وخرجت في مشرعة بالبصرة، وأنا أمشي وأتعثر، وأبكي قلقاً على فراق أهلي وولدي، وذهاب معيشتي وجاهي، فاعترضني رجل، فقال: ما لك؟ فأخبرته. فقال: أنا أرد عليك مالك. فقلت: يا هذا، أنا في شغل عن طَنْزِكَ بي. قال: ما أقول إلا حقًّا، امضِ إلى السجن ببني نمير، واشترِ معك خبزاً كثيراً وشواء جيداً وحُلواً، وسَلِ السجان أن يوصلك إلى رجل محبوس هناك يقال له: أبو بكر النقاش، قل له: أنا زائره؛ فإنك لا تُمْنع، فإن مُنعت فهَبْ للسجان شيئاً يسيراً يدخلْك إليه، فإذا رأيته فسلِّم عليه، ولا تخاطبه حتى تجعل بين يديه ما معك، فإذا أكل وغسل يديه، فإنه يسألك عن حاجتك، فأخبره خبَرك، فإنه سيدلك على من أخذ مالك ويرتجعه لك.

ففعلت ذلك ووصلت إلى الرجل، فإذا شيخ مكبَّل بالحديد، فسلمت وطرحت ما معي بين يديه، فدعا رفقاء له، فأكلوا، فلما غسل يديه قال: ما أنت؟ وما حاجتك؟ فشرحت له قصتي، فقال: امضِ الساعة إلى بني هلال، فادخل الدرب الفلاني حتى تنتهي إلى آخره، فإنك تشاهد باباً شعثاً، فافتحه وادخله بلا استئذان، فتجد دهليزاً طويلاً يؤدِّي إلى بابين، فادخل الأيمن منهما، فسيدخلك إلى دار فيها بيت فيه أوتاد وبواري، وكل وتد إزار ومئزر، فانزع ثيابك وألقها على الوتد، وائتزر بالمئزر واتشح بالإزار واجلس، فسيجيء قوم يفعلون كما فعلت، ثم يؤتَوْن بطعام فكل معهم، وتعمد موافقتهم في سائر أفعالهم، فإذا أُتِيَ بالنبيذ فاشرب، وخذ قدحاً كبيراً واملأه، وقم قائماً وقل: هذا ساري لخالي أبي بكر النقاش، فسيفرحون ويقولون: أهو خالك؟ فقل: نعم، فسيقومون ويشربون لي، فإذا جلسوا فقل لهم: خالي يقرأ عليكم السلام ويقول: يا فتيان، بحياتي ردُّوا على ابن أختي المئزر الذي أخذتموه بالأمس في السفينة بنهر الأبلة؛ فإنهم يردونه عليك.

فخرجت من عنده ففعلت ما أمر، فَرُدَّت الفوطة بعينها وما حُلَّ شدُّها، فلما حصلت لي قلت: يا فتيان، هذا الذي فعلتموه معي هو قضاء لحق خالي، ولي أنا حاجة تخصُّني. قالوا: مقضية. قلت: عرِّفوني كيف أخذتم الفوطة؟ فامتنعوا ساعة، فأقسمت عليهم بحياة أبي بكر النقاش، فقال لي واحد منهم: أتعرفني؟ فتأملته جدًّا، فإذا هو الضرير الذي كان يقرأ القرآن، وإنما كان متعامياً، وأومأ إلى آخر فقال: أتعرف هذا؟ فتأملته فإذا هو الملاح، فقلت: كيف فعلتما؟ فقال الملاح: أنا أدور بالمشارع في أول أوقات المساء، وقد سبقت بهذا المتعامي، فأجلسته حيث رأيت، فإذا رأيت من معه شيء له قدر ناديته، وأرخصت له الأجرة وحملته، فإذا بلغت إلى القارئ وصاح بي شتمته؛ حتى لا يشك الراكب في براءة الساحة، فإن حمله الراكب فذاك، وإلا رقَّقته عليه حتى يحمله، فإذا حمله وجلس يقرأ ذهل الرجل كما ذهلتَ.

فإذا بلغنا الموقع الفلاني، فإن فيه رجلاً متوقعاً لنا يسبح حتى يلاصق السفينة، وعلى رأسه قوصرة[13]؛ فلا يفطن الراكب به، فيسلب هذا المتعامي الشيء بخفية، فيليه إلى الرجل الذي عليه القوصرة، فيأخذه ويسبح إلى الشط، وإذا أراد الراكب الصعود وافتقد ما معه عملنا كما رأيت؛ فلا

يتّهمنا، ونفترق، فإذا كان من غد اجتمعنا واقتسمناه، فلما جئت برسالة أستاذنا خالك سلمنا إليك الفوطة. قال: فأخذتها ورجعت.

طبق السمك

حدَّث سهل الخلاطي؛ قال: بلغني أن محتالين سرقا حماراً، ومضى أحدهما ليبيعه، فلقيه رجل معه طبق فيه سمك، فقال له: تبيع هذا الحمار؟ قال: نعم. قال: أمسك هذا الطبق حتى أركبه، وأنظر إليه. فدفع إليه الطبق فيه السمك، فركبه ورجع، ثم ركبه ودخل زقاقاً ففرَّ به، فلم يدرِ أين ذهب. قال: فرجع المحتال، فلقيه رفيقه فقال: ما فعل الحمار؟ قال: بعناه بما اشتريناه، وربحَنا هذا الطبق من السمك.

الأيدي في الظلام

أنبأ محمد بن أبي طاهر، عن أبي القاسم التنوخي، عن أبيه: أن رجلاً من بني عقيل مضى ليسرق دابة، قال: فدخلت الحي، فما زلت أتعرف مكان الدابة، فاحتلت حتى دخلت البيت، فجلس الرجل وامرأته يأكلان في الظلمة، فأهويت بيدي إلى القصعة ـ وكنت جائعاً ـ فأنكر الرجل يدي وقبض عليها، فقبضت على يد المرأة بيدي الأخرى، فقالت المرأة: ما لك ويدي؟ فظن أنه قابض على يد امرأته؛ فخلى يدي، فخليت يد المرأة، وأكلنا، ثم أنكرت المرأة يدي فقبضت عليها، فقبضت على يد الرجل، فقال لها: ما لك ويدي؟ فخلت عن يدي، فخليت عن يده، ثم نام، وقمت فأخذت الفرس.

الغلام الشجاع

حدَّث سنان بن مسلمة ـ وكان أميراً على البحرين ـ قال: كنا غلماناً بالمدينة في أصول النخل نلتقط البلح الذي يسمونه الخِلال، فخرج إلينا عمر بن الخطاب، فتفرق الغلمان وَثَبتُّ مكاني، فلما غشيني قلت: يا أمير المؤمنين، إنما هذا ما ألقت الريح. قال: أرني أنظر؛ فإنه لا يخفى عليَّ. قال: فنظر في حِجْري، فقال: صَدَقْت. فقلت: يا أمير المؤمنين، ترى هؤلاء الغلمان؟ والله لئن انطلقت لأغاروا عليَّ، فانتزعوا ما في يدي. قال: فمشى معي حتى بَلَّغني مأمني.

المال زائل والحمق باق

قال الأصمعي: قلت لغلام حَدَث السن من أولاد العرب: أيسرُّك أن يكونٍ لك مئة ألف درهم وأنك أحمق؟ فقال: لا والله. قلت: ولم؟ قال: أخاف أن يجني عليَّ حُمقي جنايةً تُذهِب مالي، ويبقى عليَّ حمقي.

مجانين

كان في بني أسد مجنون، فمرَّ بقوم من بني تيم الله، فبعثوا به وعذَّبوه، فقال: يا بني تيم الله، ما أعلم في الدنيا قوماً خيراً منكم. قالوا: وكيف؟ قال: بنو أسد ليس فيهم مجنون غيري، وقد قيَّدوني وسلسلوني، وكلكم مجانين ليس فيكم مقيد.

وافق شَنٌّ طبقة

كان شنٌّ من دهاة العرب، فقال: والله لأطوفنَّ حتى أجد امرأةً مثلي، فأتزوجها. فسار حتى لقي رجلاً يريد قرية يريدها شنٌّ، فصحبه، فلما انطلقا قال له شنٌّ: أتحملني أم أحملك؟ فقال الرجل: يا جاهل، كيف يحمل الراكبُ الراكبَ؟! فسارا حتى رأيا زرعاً قد استحصد، فقال شنٌّ: أترى هذا الزرع قد أُكِلَ أم لا؟ فقال: يا جاهل، أما تراه قائماً؟! فمرّا بجنازة، فقال: أترى صاحبها حيًّا أم ميتاً؟ فقال: ما رأيت أجهل منك، أتراهم حَمَلوا إلى القبور حيًّا.

ثم سار به الرجل إلى منزله، وكانت له ابنة تسمى طبقة، فقص عليها القصة، فقالت: أما قوله: أتحملني أم أحملك، فأراد: تُحدِّثني أم أحدثك حتى نقطع طريقنا؟ وأما قوله: أترى هذا الزرع قد أُكِل أم لا؟ فأراد: باعه أهلُه، فأكلوا ثمنه أم لا؟ وأما قوله في الميت فأراد: أتَرك عَقِباً يحيا به ذكره أم لا؟ فخرج الرجل فحادثه، ثم أخبره بقول ابنته، فخطبها إليه فزوجه إياها، فحملها إلى أهله، فلما عرفوا عقلها ودهاءها قالوا: وافق شنٌّ طبقة.

الهرُّ المواظب

قال محمد بن عجلان مولى ابن زياد: دخل زياد مجلسه ذات يوم، فإذا هو بهِرٍّ في زاوية البيت، فَذَهَبْت أزجره، فقال: دعه، فأرى ما له. ثم صلى الظهر، ثم عاد إلى مجلسه، ثم صلى العصر فعاد إلى مجلسه، كلَّ ذلك يلاحظ الهر، فلما كان قبل غروب الشمس خرج جرذ، فوثب عليه الهر فأخذه، فقال زياد: من كانت له حاجة فليواظب عليها مواظبة الهر؛ فإنه يظفر بها.

ذكاء قنبرة

قال الشعبي: أُخْبِرتُ أن رِجلاً صاد قنبرة، فلما صارت في يده قالت: ما تريد أن تصنع بي؟ قال: أذبحك وآكلك. قالت: ما أَشفي من مرض، ولا أُشبع من جوع، ولكن أعلمك ثلاث خصال خير لك من أكلي؛ أما واحدة أعلمك وأنا في يدك، والثانية على الشجرة، والثالثة على الجبل. فقال: هات الواحدة. قالت: لا تلهفن على ما فاتك. قال: فلما صارت على الشجرة قال لها: هات الثانية. قالت له: لا تصدق بما لا يكون أن يكون. فلما صارت على الجبل قالت له: يا شقي، لو ذبحتني أخرجت من حوصلتي دُرَّتيْن، في كل واحدة عشرون مثقالاً. قال: فعضَّ على شفتيه وتلهَّف، ثم قال لها: هات الثالثة. قالت: أنت قد نسيت اثنتين، فكيف أحدثك بالثالثة؟ ألم أقل لك: لا تلهفن على ما فاتك، ولا تصدق بما لا يكون أن يكون؟ أنا وريشي ولحمي لا أكون عشرين مثقالاً. قال: وطارت فَذَهَبت.

في بيته يؤتى الحكم

قالت العرب: وجدت الضبع تمرةً فاختلسها الذئب، فلطمته لطمة، فتحاكما إلى الضب، فقالت: يا أبا الحُسيل. قال: سميعاً دعوت. قالت: جئناك نحتكم إليك. قال: في بيته يؤتى الحَكَم. قالت: إني التقطت تمرة. قال: حلواً جنيْت. قالت: إن الذئب أخذها. قال: حظَّ نفسه بغى. قالت: لطمتُه. قال: أشفيت والبادي أظلم. قالت: فلطمني. قال: حرٌّ انتصر لنفسه. قالت: اقضِ بيننا. قال: قضيت!

يصوم الاثنين والخميس

قالوا: وأولم طائر وليمةً، فأرسل يدعو بعض إخوانه، فغلط بعضُ رسله، فجاء إلى الثعلب، فقال: أخوك يدعوك. فقال: السمع والطاعة. فلما رجع أخبر الطائر، فاضطربت الطيور، وقالوا: أهلكتنا وعرضتنا للحتف. فقالت القنبرة: أنا أصرفه عنكم بحيلة. فمضت، فقالت: أخوك يقرأ عليك السلام، ويقول لك: الوليمة يوم الاثنين، فأين تحب أن يكون مجلسك؛ مع الكلاب السلوقية، أم مع الكلاب الكردية؟ فتجرعها الثعلب، وقال: أبلغي أخي السلام، وقولي له: أبو سرور يقرئك السلام، ولكن قد تقدم لي نذرٌ منذ دهرٍ بصوم الاثنين والخميس.



1. الكُرُّ: مِكْيَالٌ كبيرٌ لأهلِ العراق، والطعامُ- هنا- القمح. ↑

2. أي: من أصحاب الحيل. ↑

3. القِصاص. ↑

4. أصحاب الكرامات. ↑

5. مقدار من الأرض. ↑

6. أي: في الصحراء. ↑

7. معاش. ↑

8. ذهب وعيه. ↑

9. عِصيٌّ يُضرب بها. ↑

10. فُتَّ الخبز وبلّله بالمرق . ↑

11. مكان بالعراق قرب البصرة على شاطئ النهر. ↑

12. مركب لحمل الغلال. ↑

13. وعاء من قصب. ↑

Table of Contents